

خطبتان للشيخ صالح ابن مهنا



الخطبة الأولى لشهر ذي الحجة⁽¹⁾

فمن صام عشر ذي الحجة، أكرمه الله بعشرة أشياء: البركة في العمر والآجال، والحفظ في الأهل والعيال، والتكفير للسيئات، والتضعيف للحسنات، والتسهيل للسكرات، والضياء في القبر بين الأموات، والتثقيل في الميزان، والنجاة من النيران، والصعود على درجات الجنان.

ومن صام اليوم الأول غفرت له الذنوب والخطيئات؛ ومن صام اليوم الثاني كان كمن عبد الله سنة ولم يعص الله في جميع الأوقات؛ ومن صام اليوم الثالث استجاب الله له الدعوات؛ ومن صام اليوم الرابع نفي عنه الفقر والحاجات؛ ومن صام اليوم الخامس برئ من النفاق والفجور، وأمن من عذاب القبور؛ ومن صام اليوم السادس نظر الله إليه بعين الرحمة، فلم يعذبه بعد الممات؛ ومن صام اليوم السابع أغلق الله عليه ثلاثين باباً من الإعسار، وفتح له ثلاثين باباً من اليسار؛ ومن صام اليوم الثامن أعطاه الله من الأجر مالا يعلمه إلا ذو الجلال؛ ومن صام اليوم التاسع كفر الله عنه ذنوب سنة ماضية وسنة في الاستقبال.

فاتَّقوا الله عباد الله، واغتنموا العمل في أيام العشر، تناولوا عظيم الأجر، فإنَّ الله أقسم بها في محكم الآيات والذكر، فقال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾⁽⁵⁾.

جاء في الحديث الشريف فيما رواه البخاري في (صحيحه) عن رسول الله ﷺ أنه قال: {مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي هَذَا الْعَشْرِ}⁽⁶⁾ - يعني عشر ذي الحجة -.

وروى مسلم في (صحيحه) عن رسول الله ﷺ أنه قال: {إِذَا رَأَيْتُمْ هَلاَلَ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَصْحِيَ، فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَطْفَارِهِ}⁽⁷⁾.

الحمد لله الذي أوجد وأفنى، ووعد المحسنين بالحسنى، أحمده أن وفق العاملين لطاعته وعليهم أثنى، فسبحانه من إله عاملنا بالحلم والصَّفح عنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل على عبده: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾⁽²⁾، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذي كان أزهر اللون أفنى، القائل: "مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا"⁽³⁾، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، العاملين بالكتاب والسنة، الطاعنين في نور مخالفهما بالأسنة؛ أما بعد:

فيا أيُّها النَّاسُ؛ قد أظلمكم شهرُ ذي الحجة، الذي فرض الله فيه زيارة البيت وحجَّه، وأراد خيراً بمن قصد طريقه وفجَّه، وقلَّد الهدى وأشعره وشجَّه، وكبَّر الله حتَّى صار لتكبيره ضجَّة، وأجزل الثَّواب لمن أراق فيه دم الأضحى وثجَّه، وغفر الذنوب لمن رفع فيه صوته بالتلبية وعجَّه، وأوضح السَّبيل وبينَ المحجَّة، لئلا يكون للنَّاس على الله حُجَّة، فمن أظلم ممَّن سلك الطَّريق الموعَّج، ونبذ كتاب الله وراء ظهره وخالف أمره ومجَّه، ولم يرفع بذلك رأساً وفي طغيانه لجَّ، حتَّى أغرقه في أعظم لجَّه، ورماه في بحر القطيعة وزجَّه، ومن امتثل أمره وقاه ونجَّه، وفتح في وجهه الأبواب المرتجَّة؛ فرحم الله امرأة عظُم عشر ذي الحجة، وتزوَّد فيها أحسن زاد، فإنَّ العمل فيها أفضل من الجهاد، والصَّوم فيها غنيمة العباد، والصَّلاة فيها من أحسن الأوراد، والذكر فيها من أعظم القربات إلى ربِّ العباد، والصدقة فيها من أعظم الذَّخيرة إلى يوم المعاد، وَعَدَّ الله بتضعيفها: ﴿اللَّهُ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾⁽⁴⁾.

(1) وفيها: "الرَّغِيبُ فِي صِيَامِ أَيَّامِ الْعَشْرِ وَفَضْلِهَا"، فَإِنْ وافقت يوم عرفة فاذا ذكر الأحاديث المتعلقة بصوم عرفة، أو اخطب بالتي بعدها في فضل يوم عرفة.

(2) البقرة/286.

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه" (101)، وابن حبان في "صحيحه" (4905) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) آل عمران/9.

(5) الفجر/1-2.

(6) أخرجه البخاري في "صحيحه" (969)، والدارمي في "المسند" (1814) من طريق شعبة، عن سليمان، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: "مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي هَذِهِ؟" قَالُوا: "وَلَا الْجِهَادُ؟" قَالَ: "وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ".

(7) أخرجه مسلم في "صحيحه" (1977) عن أم سلمة رضي الله عنها.

وروى الترمذي بسنده عنه (عليه السلام) أنه قال: { مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ، وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ }⁽⁸⁾.

الخطبة الثانية لذي الحجة⁽⁹⁾

الحمد لله المتعطف على أهل المحبة والوداد، المنتقم من أهل المخالفة والعناد، أحمده حمدا نجد ثوابه يوم التناد، فسبحانه من إله لا معقب لحكمه ولا راد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل على عبده: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْإِهَادَ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ ﴾⁽¹⁰⁾، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، الذي كان يأمر بالعدل بين الأولاد، القائل: {مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحَرِ زَادَ مَا زَادَ}⁽¹¹⁾، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، السالكين سبيل القصد والرشد، أمّا بعد:

فيا أيها الناس؛ إن يوم عرفة قد فضله وعرفه، وفاز بفضله من وفقه، وأجزل الله الثواب لمن عظم قدره وعرفه، فهو أفضل الأيام عند الله وعند الملائكة الكرام، كما جاء في حديث خير الأنام ورواه غير إمام، تنزل فيه الرحمت، ويباهي الله بالحجاج أملاك السماوات، فيقول: انظروا إلى عبادي رافعين بالتلبية الأصوات، جاءوني شعنا غبرا ضاحين محرمين، متجردين مكبرين مهللين، جاءوا من كل فج عميق، ومن كل بلد سحيق، وتمسكوا بالعهد الوثيق، وفارقوا في طاعتي الحبيب والصديق، يرجون رحمتي ويمتلئون أمري وشريعتي، ويلتمسون مغفرتي ويخافون عذابي وسطوتي، فأشهدكم يا ملائكتي أنني قد أجبت دعوتهم، وشفعت رغبته، ووهبت مسيئتهم لمحسنهم، وكفلت التبعات التي بينهم.

غفر الله لأهل عرفات قبل أن يخلق عرفات، وكفل عنهم المظالم

والتبعات، وضاعف لهم الأجر في النفقات. تنزل الرحمت فتعهم وتشم سائرهم وجميعهم، ويغفر الله لصالحهم ويشفعه في طالحهم، ثم تفرق المغفرة من إكرام الأكرمين في جميع الأرضين، فتعم جميع المؤمنين وتشمل كل المسلمين، وإليس واقف مذخور، هو وجنوده ينظر ما يصنع الغفور، فإذا نزلت رحمة الشكور، دعا على نفسه بالويل والثبور، فما رئي الشيطان في يوم من الأيام، هو أحقر ولا أصغر ولا أدر، ممّا رئي في يوم عرفة لما يرى من تجاوز الله عن الذنوب العظام، ومن مزيد العفو والإكرام، وجزيل الفضل والإنعام، فطوبى لهم ثم طوبى لهم ويا بشرهم، برضى مولاهم ويا طيب هناهم، طلبوا المولى فأعطاهم وبلغهم منهاهم، خرجوا من ذنوبهم كيوم الولادة، وحقت بهم السعادة واستحقوا اسم السيادة، وهم ينتظرون بالزيارة الزيادة، جاءوا إلى أشرف بلاد من كل فج وواد، فرجعوا كيوم الميلاد، تعمهم المغفرة ثم تفرق على العباد، ممن حفظ في يوم عرفة اللسان، وطهر القلب والجنان وخشي الرحمن، ودعا بما ورد عن سيد ولد عدنان.

فاتقوا الله عباد الله، وعظموا ما عظم الله، من حرمة هذه الأيام العظام، واغتنموا بالذكر والصدقة وصلة الأرحام، خصوصا يوم عرفة، فإنه يتأكد فيه الصيام، وشمروا لاغتنام الأجر في هذه العشر، تنالوا أجرا كريما: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽¹²⁾.

جاء في الحديث الشريف فيما رواه البخاري في (صحيحه) عن رسول الله ﷺ أنه قال: {مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا}⁽¹³⁾.

وروى مسلم في (صحيحه) عن رسول الله ﷺ أنه قال: {صِيَامُ يَوْمٍ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ}⁽¹⁴⁾.

وروى الترمذي بسنده عنه (عليه السلام) أنه قال: {خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمٍ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}⁽¹⁵⁾.

وعنه (عليه السلام) أنه قال: "مَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ الْعِيدِ أَحْيَا اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ"⁽¹⁶⁾.

(8) أخرجه الترمذي في "السنن" (758)، وابن ماجه في "السنن" (1728) من طريق مسعود بن واصل نا النهاس بن قهم، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مسعود بن واصل، عن النهاس؛ وسألت محمدا، عن هذا الحديث فلم يعرفه من غير هذا الوجه". مسعود بن واصل اتفقوا على تضعيفه، انظر "السلسلة الضعيفة" (5142).

(9) وفيها ذكر فضل يوم عرفة والترغيب في صومه.

(10) "البقرة/ 204 - 207".

(11) أخرجه أحمد في "المسند" (2840)، وأبو داود في "السنن" (3905)، وابن ماجه في "السنن" (3726) من طريق أبي مالك عبيد الله بن الأحنس، عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث، عن يوسف بن ماهك، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا.

(12) "الأحزاب/ 71".

(13) أخرجه البخاري في "صحيحه" (2840)، ومسلم في "صحيحه" (1153) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(14) أخرجه مسلم في "صحيحه" (1162)، والترمذي في "السنن" (749)، وابن ماجه في "السنن" (1730) من طريق حماد بن زيد، عن غيلان، عن عبد الله بن معبد الزماني، عن أبي قتادة رضي الله عنه.

(15) أخرجه الترمذي في "السنن" (3585)، وأحمد في "المسند" (6961) من طريق حماد بن أبي حميد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. قال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحمد بن أبي حميد هو: محمد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني وليس هو بالقوي عند أهل الحديث". انظر "السلسلة الصحيحة" للألباني (1503).

(16) أخرجه ابن ماجه في "السنن" (1782) من طريق بقرية بن الوليد، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: "مَنْ قَامَ لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ مُحْتَسِبًا لِلَّهِ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ".

بقية بن الوليد ضعيف، وقد اختلف فيه على ثور بن يزيد.

قال الحافظ البوصيري في "مصابيح الزجاجة" (2/85): "هذا إسناد ضعيف لتدليس بقية، ورواته ثقات، لكنه لم ينفرد به بقية عن ثور، ...".

انظر "العلل" للدارقطني (12/269)، و"السلسلة الضعيفة" للألباني (520 - 521).